الطريقة ، فلن يكون بمقدورهم الظهور على شكل ضخم مخيف ككتلة واحدة . ولكنهم كانوا رغم ذلك خطرين للغاية على الفرنسيين » (« الثورة في أسبانيا » ــ الناشرون الاممين ــ بالانكليزية ص ٥٢) . وكان كلاوزفتز في كتابه حول الحرب "On War" قد طرح مثل تلك المبادىء في الفصل الخاص حول تكتيك العصابات . أي لا بد من استخدام تكتيك « اضرب واهرب » « عدم المواجهة » الخ . اما ماوتسي تونغ الذي وصل تنظير هذا الشكل من الحرب ، القمة على يده ، فقد طرح قوانينها التكتيكية مثل « ٢ ــ عندما يتقدم العدو نتراجع ، وعندما يعسكر نزعجه ، وعندما يتعب نهاجمه ، وعندما يتراجع نلاحقه » (الاعمال العسكرية ص ٧٢) .. « ٢ ــ عندما يطوق العدو وحدات للعصابات فعليها ان تنتشر لتتمكن من الانسحاب » (ماوتسي تونغ ــ حرب العصابات ــ نشر وتوزيع دار سورية ص ١٣٠) .

واذا وضعنا نصب اعيننا القانون العام الاول للحرب الذي لا بد من أن تتقيد به قوات الغوار والذي قال ماوتسي تونغ انه يتمثل «في المحافظة على انفسنا ، وفي تحطيم العدو». نفهم لماذا يتحتم على النواة الرئيسية في حرب الغوار ان تؤمن نفسها ، اولا وقبل كل شيء ، ضد السحق والابادة . ان هذه المحافظة على النفس تتخذ اشكالا عديدة حسب الحالات المختلفة : (١) قاعدة آمنة في منطقة يصعب على قوات العدو الوصول اليها او تطويقها وتمشيطها ، (٢) قاعدة آمنة وراء حدود دول اخرى لا تستطيع قوات العدو الوصول اليها لاعتبارات دولية وسواه ، (٣) تأمين حماية جماهيرية بالتواجد في مناطق شديدة التعاطف مع قوات المغاورين بشكل يتيح لهذه القوات انذارا مسبقا لحملات التطويق من اجل عدم الوقوع في الطوق،او يتيح لها دفاعا جماهيريا يحول دون اقتحامها (٤) مقدرة عالية في فن الاستخفاء وسرعة الحركة .

ان الفلسفة وراء هذا القانون تكمن في الادراك العميق لنسبة توازن القوى بين الطرفين ، خاصة ، في المرحلة الاولى ، حيث يكون تفوق القوى للثورة هائلا . اي تكون قوات الثورة في حالة الدفاع الاستراتيجي الامر الذي يتطلب منها : (١) عدم الدخول في معارك فاصلة تركز فيها كل القوة الرئيسية الضاربة لان العدو ، في هذه الحالة ، سيتمكن من قوة الغوار وينهيها (٢) عدم الدخول في المعارك التي يفرضها العدو ، ويمكن تجنبها ، وهذا يتطلب ضرورة الافلات من حملات التطويق ، ومن المعارك غير المتكافئة . (٣) ان تقرر قوات الغوار المعارك التي تخوضها ، بما في ذلك ، اماكنها .. اوقاتها .. مدتها بحيث تؤمن كل مرة عنصر التفوق . وقد عبر ماوتسي تونغ عن ذلك بالقانون الشهير « استراتيجيا العدو عشرة والجيش الاحمر واحد ، اما تكتيكيا فالجيش الاحمر عشرة والعدو واحد» . وهذا يعني ان على قوات المغاورين ان تدخل المعركة بعد تأمين تفوق على العدو ــ « ركز في كل معركة قوات متفوقة مطلقا ــ وليكن التفوق مرتين وثلاث واربع او احيانا خمس او ست مرات على قوات العدو . » (ماوتسي تونغ ــ الاعمال العسكرية ص ٣٤٩) .

الان ، اذا اخذت كل هذه المبادىء لتطبق على وضع الثورة الفلسطينية ووضع العدو قبيل معركة الكرامة فسنجد ان الاستنتاج السريع الذي كان لا بد من الخروج به من قبل كل من يحفظ تلك القوانين عن ظهر قلب ويطبقها بصورة ميكانيكية ، ولا يراها الى جانب قوانين اخرى متلاحمة معها ، هو : ترك الكرامة وتجنب حملة الجيش الصهيوني ، وفي احسن الحالات ، الانتشار الواسع في المنطقة للقيام ببعض المناوشات على الاطراف والنقاط المعزولة ، خاصة ، في اثناء انسحاب العدو . لان نظرة سريعة على توازن القوى العسكرية تطلع بضرورة الخروج بمثل هذا الاستنتاج :

١ ــ العدو متفوق بالاليات والطيران والسلاح والعدد ، ومتمرس على قتال المواجهة والاقتحام والاحتلال . ٢ ــ النواة الثورية المقاتلة قليلة العدد جدا وذات اسلحة لا